ثورة يوليو الأمريكية

علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية



محمد جلال كشك

الزهراء للإعلام العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الزهراء للإعلام العربى
قسـم النشـر
ص. ب : ١٠٢ مدينة نصر - القاهرة - تلغرافياً : زاهراتيف - تليفون ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦ - تلكس ٩٤٠٢١ رائف يوان
P .O : 102 Madinat Nasr - Cairo - Cable : Zahratif - Tel : 601988 - 2611106 - Telex : 94021 Raef U . N

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين﴾

صدق الله العظيم
فصلت / ٣٣

الطبعة الثانية

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

ثورة يوليو الأمريكية

علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية

محمد جلال كشك

الزهراء للإعلام العربي

إلى
القردة
الذين
دبروا
اقتباسي ...

.. وقيل إن طائرا أبصر بعض القردة ، في ليلة باردة ، غاب قمرها ، يلتمسون ناراً من يراعة (وهي ذبابة مضيئة) فراح يصيح بهم : لا تطلبوا المستحيل ، ولا تسألوا فاقد الشيء أن يعطيه .. وهم لا يصغون إليه . ومر به ناسك فقال له : لا تبح صوتك في نصح من لا ينتصح ، بل من يكرهون ناصحهم ويتبعون مضليهم .

قال الطائر : بل أمرنا بإرشاد من ضل ولو كره ..

قال الناسك : أخشى أن يصيبك منهم شر !

رد الطائر : ضلالتهم وجهلهم هي الشر الأكبر ..

فذهب الناسك في طريقه وضاق الطائر ذرعاً بجهلهم فنزل إليهم ينبه إلى خطأ ما يرجون وعبث ما يستوقدون .. فأمسك كبيرهم به ودق رأسه .. واستمر القردة ينفخون !

« . . . وعرفت كم كانت جريمة الثورة في حق الإنسان المصري بشعة . . وعرفت أي مستنقع ألقينا فيه الشعب المصري . .

فقد حريته . .

فقد كرامته . .

فقد أرضه . .

وتضاعفت متاعبه . . . » .

اللواء ا . ح .

محمد نجيب

رئيس مجلس الثورة



خطبة الكتاب

في سنة ١٩٨١ أصدر الأستاذ هيكل كتابه « قصة السويس » ، وكان كعادته يكتب للأمين ومن ثم تعامل مع التاريخ معاملة الدجوي وصلاح نصر وحمزة البسيوني للقانون . . فلما فوجيء بأن جيلنا لم ينقرض وأن هناك من يستطيع التصدي له بالنقد والتفنيد . . اضطر إلى إعادة كتابة التاريخ مع التعديلات والتنقيحات اللازمة . . !!! وذلك في كتابه الذي نشر في الأهرام بعنوان « ملفات السويس » .

وهو الكتاب الذي صاحبته أكبر زفة من المتورطين والجاهلين ، ومارس فيه هيكل كل مواهبه في التزييف والتهويش . . ورغم ذلك لم يستطع أن يفند أو يرد على واقعة واحدة قدمناها في كتابي المشار إليه : « كلمتي للمغفلين » إلا أنه اضطر إلى تعديل الروايات التي كشفنا تزويره لها ، كما اضطر إلى تغير أسلوب الكتاب ومنهجه فاعترف ـ لأول مرة ـ بعلاقة انقلاب يوليو بالمخابرات الأمريكية . . كما اعترف أن هذا الانقلاب كان إفرازاً للتناقض الأمريكي البريطاني . . الأمر الذي كان مستبعداً بل ومناقضاً تماماً للصورة الفاضحة التزوير التي قدمها في كتابه الأول « قصة السويس » . . ومن ثم رأيت أنه لزاماً عليّ أن أتصدى مرة أخرى لكتابه الجديد أو محاولته الجديدة لإعادة تزوير التاريخ . . فكان كتابي هذا الذي يتضمن فصولا من كتابي السابق مع إضافات تتناول تعديلات وتنقيحات واعتذارات ملفات السويس . . وكذلك إضافات مما كشفته الوثائق التي أعلنت أو المذكرات التي نُشرت بعد صدور « كلمتي للمغفلين » في عام ١٩٨٥ ، واخترت هذه المرة أن يكون العنوان أكثر وضوحاً وأقل سخرية . . ألا وهو : « ثورة يوليو الأمريكية » .

وكل أملنا هو دفع الجيل الجديد للتفكير . . هذا الجيل الذي يتعرض لأكبر عملية غسيل مخ وتجهيل ، عاناها جيل في تاريخنا . . ويكفي أن يطالع القارىء بعض المقارنات التي عقدناها بين روايات هيكل المختلفة للواقعة الواحدة ليرى أننا لم نذهب بعيداً عندما لقيناه بمؤلف التاريخ وليس كاتبه ، فضلا عن أن يُسلك ـ حاشا لله ـ في قائمة المؤرخين !! ولا أننا قلنا شططاً إذا اتهمناه بالتزوير . . إذ لا يمكن أن نَصْدُقَ مع القارىء والحقيقة وشرف المهنة لو وصفنا فعله بالتاريخ بصفة أقل من التزوير المتعمد .

فهذا كتاب للمهمومين بمصير وطنهم وأمتهم العربية ، أما إذا كنت تعتقد أن خطاب الرئيس عبد الناصر في مؤتمر باندونج ، أهم من الانتصار الإسرائيلي في حرب ١٩٥٦ . . فلا تقرأ هذا الكتاب ، وإذا كنت تعتقد أن الانتصار على الإمام البدر أهم تاريخياً ومصرياً وعربياً من انتصار إسرائيل في حرب ١٩٦٧ ، وتحولها إلى الباب العالي في الشرق الأوسط ، وتحول مصر إلى دولة من الدرجة الثالثة في الشرق الأوسط . . فلا تقرأ هذا الكتاب .

فلا حاجة لك فيه ولا من أجلك قد كُتِبَ .

أما إذا كنت تعي وتعيش خطر المواجهة المصرية العربية ـ الإسرائيلية ، وتدرك خطورتها ومصيريتها بالنسبة لواقع ومستقبل الأمة العربية والوطن المصري خاصة ، فلا يجوز أن يفوتك حرف مما فيه فمن أجلك كُتِبَ . . وعن هذه المواجهة كان العناء في تأليفه والمخاطرة بنشره .

أقول . . لو نجحت في أن أجعل هذا الجيل يهتم ببحث هذه القضية . . بأن تنذر حفنة منهم ، نفسها ، للبحث والاستقصاء وتجميع الأدلة وتمحيص الوقائع حول جذور الناصرية وتطورها وما تركته من آثار على تاريخنا . . لو حدث ذلك ، فسأكون قد عوضت خيراً عما بذلته من جهد وما تحملته لإخراج هذا الكتاب ومن قبله كتابي « كلمتي للمغفلين » . . ويشهد الله أن ليس لي أية مصلحة شخصية أو مادية في هذا الحديث ، ولكنها أمانة التاريخ وشرف الكلمة . . واستمرار الجذوة التي جعلتنا في أربعينات هذا القرن ، نهرب من المدرسة ودفء الأسرة وأمنها ، لكي تعمل سرا وعلانية ضد النظام الملكي والاستعمار البريطاني . . في نفس الوقت الذي كان فيه مؤرخ وبياع الناصرية ، يتقلب ناعماً ما بين صحافة الانجليز والمخابرات الأمريكية ، ويحصل على جائزة الملك فاروق وثقة عبد الناصر وهو الصحفي أو الكاتب « المصري » الوحيد الذي اتهم خلال ثلاثة عهود بتهمة واحدة وهي العمل على إضعاف الروح المعنوية في مواجهة إسرائيل ! . .

أقول للشباب ، الذي يريد أن يعلم ، والذي يفزعه ما ينشر أحيانا من حقائق ، أقول لهم ادرسوا . . وابحثوا ومحصوا . . فلا حرية ولا اختيار بغير معرفة ، ولا معرفة بغير قراءة ، بغير الحوار الحر . .

بقي أن ننصح القارىء بالصبر ، والمراجعة ، وقراءة الملاحق أثناء قراءة المتن ، فهي لا تقل أهمية وبعضها ضروري لفهم هذا المتن .

والله المستعان

القاهرة

فبراير ١٩٨٨

مدخل

لم يكن في خاطري الكتابة عن « عبد الناصر » في هذا الوقت ، فهذا العمل الكبير حجماً وتأثيراً يأتي على قائمة مدخل التسعينيات بإذن الله ، لعدة أسباب اقتنعت بها عند ترتيب ما أتمنى إنجازه ، وذلك في عيد ميلادي الخمسين ، عندما قررت أنه قد حان وقت التخلي عن الصحافة ، والتفرغ للعمل الفكري والتاريخي ، في شكل كتب أو نشرة محدودة التوزيع* بعيدة عن التعليق المباشر على الأحداث اليومية ، فقد كان عليّ أن أفرغ من وضع تاريخ صحيح للحركات الإسلامية ، بعيداً عن تشويهات التاريخ الصليبي ـ الاستعماري وكان عليّ أن أفرغ من سلسلة تاريخ مصر الحديث التي أصدرت منها كتابي عن الحملة الفرنسية ، والحركة الوطنية في السودان ، وكان عليّ أن أطرح تصوري لفكر الحركة الإسلامية المنشودة** . . وكان المقدر أن أفرغ من ذلك كله في نهاية الثمانينيات . . ثم يأتي الدور على تحليل الناصرية بعد التمهيد التاريخي لفهمها كظاهرة أو مرحلة في تاريخ مصر ، فيمكن تقييم « حركة ٢٣ يوليو » على ضوء منجزات الشعب المصري ، بل والحكومات التي سيطرت على مصر سواء في عصور الاستقلال أو الاحتلال وما استطاعت تحقيقه بفضل إمكانات مصر ولزيادة حصتها من ثروة شعب مصر . ذلك أن عنصراً أساسياً في تخبط جيل الناصرية وحيرته ، أنه قد تعرض لعملية تجهيل مقصودة بما سبقها من قرون في تاريخ مصر بل وتاريخ العرب وربما كان هذا « التفريغ » ضروريا لكي تبرز « المنجزات » فلم يكن أمام أبطال ليلبوت من فرصة للحوار مع « غاليفار » إلا بتقييده بالحبال وطرحه أرضاً . .

كما كان ذلك التجهيل والتشويه ضرورياً حتى يمكن سلب رجالات التاريخ المصري أفضالهم ، وحتى يجلس « أحمد فؤاد »² في مقعد « طلعت حرب » ويعتبر ذلك إنجازاً ثورياً ومكسباً شعبياً !! وحتى يعتبر الجيل المبتور التاريخ أن بناء سد على النيل بقرض أجنبي وخبرة أجنبية بل وتنفيذ أجنبي ودون مساهمة مصرية تذكر من الناحية التكنولوجية ، يعتبر عملاً خالداً بطولياً عجائبياً يكفي لمحو كل ما حدث من أخطاء وخطايا . . ! لأنهم لا يعرفون أن « محمد علي » مثلا بنى « القناطر الخيرية » التي كانت في ظروفها وظروف مصر منذ ما يقرب

• نفذت ذلك فعلا عام ١٩٨٦ بإصدار كتاب في أجزاء باسم « رسالة التوحيد » صدر منه ٤ أجزاء إلى أن رأت السلطة أنه مجلة حتى ولو كان يكتبها كلها شخص واحد وحكم علي وأولادي بالسجن ثلاثة شهور ومازالت القضية مستأنفة أمام القضاء !

•• صدر منها كتابا : خواطر مسلم عن الجهاد والأقليات والأناجيل ، وكتاب المسألة الجنسية .

من مائتي سنة عملاً خارقاً ، لم يتأت للملوك الكبار ، وكانت نتائجها ولا تزال على جغرافية مصر واقتصاد مصر وإنسان مصر ما لا سبيل إلى مقارنته بأية أحلام معلقة على السد العالي .

بناها محمد علي قبل أن يوجد في مصر مهندس مصري واحد ! وبناها بدون أن يقترض مليماً من الخارج يرهق به ميزانية عدة أجيال لا يعلم إلا الله عددها . ولم يهتف مرة واحدة « حبني القناطر » ، ولا سجل التاريخ له خطبة واحدة حول بناء القناطر أو المؤامرة الدولية ضد بنائها . . كما لا يعرف هذا الجيل أنه في ظل الاستعمار البريطاني أمكن أن تقيم مصر خزان أسوان - ١٩٠٣ - ونتائجه المحققة حتى الآن تفوق التوقعات المحتملة للسد العالي .

ولقد آلمني أن يقارن بعضهم بين « محمد علي » و « عبد الناصر » بدعوى أن الاثنين هزما أمام العدو الأجنبي ؛ وإذا كنت في كتاباتي قد قسوت في نقد « محمد علي » إلا أن شرف الكلمة ، وأمانة التاريخ بل كل القيم التي تعارف عليها الشرفاء تأبى هذه المقارنة وترفضها . . فلا وجه للمقارنة إلا كما قلنا بين الأصل والمسخ !

لقد تسلم « محمد علي » مصر وهي ولاية عثمانية خارج التاريخ ، فمد حدودها إلى السودان ومنابع النيل . ومات وهو يحكم مصر والسودان وأجزاء من جزيرة العرب . . وعبد الناصر فصل السودان ومات وسيناء محتلة وقناة السويس هى حدود مصر . .

محمد علي مات ومصر أقوى دولة في الشرق ، أقوى من تركيا . . الامبراطورية العثمانية صاحبة السيادة النظرية على مصر . . مات ومصر لديها أقوى أسطول آسيوي أفريقي (لم تكن اليابان قد ظهرت بعد كقوة عظمى) وعبد الناصر ترك مصر ووزنها صفر من الناحية العسكرية ، وكرامة كل مصري جريحة ، والسخرية بقدراتنا العسكرية ، وكفاءة جنودنا موضع تندر الصحافة في الكويت ودبي !!

محمد علي كان قائد جيوشه إبراهيم باشا الذي لم يهزم في حرب قط . . وعندما زار أوروبا كانت أقواس النصر تستقبله على طول الطريق تحمل أسماء معاركه التي انتصر فيها . . وهي بالعشرات في أوروبا وآسيا وأفريقيا . . وقائد عبد الناصر لم ينتصر في حرب قط ، ولم يمت حتى كان الفتيات والفتيان في أوروبا يقلعون عيونهم (بوضع ضمادة سوداء) تشبهاً بموشي ديان الذي هزم عبد الناصر وقائد جيشه في كل معركة خاضوها ضده .

هل نقارن إبراهيم باشا بالحشاش المنحل الذي سلمه عبد الناصر جيش مصر وأمنها وسيادتها على أرضها فبدد ذلك كله غارقاً في ملذاته متفرغاً لحماية حكمه وسيده ؟!

أنقارن بين من وحد مصر وسوريا بالسيف وأوشك أن يدخل الأستانة لولا أن تجمعت أوروبا ضده ؟! وبريطانيا وحدها كانت تحكم ربع العالم وتستطيع تجنيد جيش أكبر عدداً من تعداد ذكور مصر بما فيهم الأطفال !

نقارنه بمن أضاع سوريا وهزم في دمشق على يد مديري مكتبه . . حفنة عملاء لا مكان لهم في مزبلة التاريخ . . ولكنهم هزموا عبد الناصر . . وأخرجوا نائبه مدحورا كالأرملة

المفضوحة ولم يجرؤ ولا استطاع أن يطلق طلقة واحدة دفاعاً عن وحدة العرب ودولة الوحدة ؟!

محمد علي هزمه « بالمرستون » وأين . . ؟! في جبال طوروس ؟! وعبد الناصر هزمه موشي ديان في شرم الشيخ والعريش والقنطرة ؟!

محمد علي تسلم مصر وليس بها مصنع ولا مدرسة ابتدائية . . فأنشأ الكليات ، وأقام المصانع وبعث البعوث . . وعبد الناصر تسلم مصر وبها أربع جامعات ، بل أرقى جامعات في الوطن العربي بل في أفريقيا (ماعدا جنوب أفريقيا) وكل آسيا باستثناء اليابان . . ومات وقد رفضت جامعات العالم شهاداتنا . . عبد الناصر تسلم مصر وبها شركة الطيران الوحيدة في العالم العربي ومعظم آسيا وكل أفريقيا ، وفيها دار للأوبرا والبنك الوطني . . وأفضل شبكة مواصلات . . إلخ وتركها كما نعرف . .

محمد علي لما حاولت بريطانيا العظمى غزو مصر هزمهم هزيمة ساحقة ، أوسمح للشعب بهزيمتهم وطاف جنده برءوس الغزاة في شوارع القاهرة . . وانسحب الأسد البريطاني صاغرا وأصبحت مصر أمنع من تركيا ، لا تفكر قوة عظمى في غزوها . . وعبد الناصر جعل مصر كالمدينة المفتوحة ، يدخلها اليهود ويخرجون كأنها أرض لا مالك لها . .

في رسالة من محمد علي إلى قنصله في باريس : « أبلغنا ولي العهد أنه أثناء زيارته لأوروبا رأى نباتاً لا يموت ولا يتكسر عندما تطأه الأقدام فأرسلوا لنا بذوره » . .

وهو الحشيش الأخضر أو النجيل . .

هذه كانت اهتمامات إبراهيم باشا في أوروبا . . فاسألوا علي شفيق ومحمد كامل حسن ماذا كانت اهتمامات مشير عبد الناصر ؟!

لا تنكأوا الجراح بمقارنة الأصل بالمسخ • . .

وكان القصد أيضاً أن تتاح وثائق أكثر ، باعتبار أن مصادر تاريخنا لا تزال في أرشيفات الدول الكبرى ، وكان الظن أن يبدأ الإفراج عن الوثائق الأمريكية ابتداء من عام ١٩٨٣ أي بعد مرور الثلاثين سنة القانونية ، فإذا ما وصلنا إلى التسعينيات كان متاحاً لنا ـ على الأقل ـ الفترة بين ١٩٥٢ إلى ١٩٦٠ وهي كافية جداً ، وليست حاجتنا للوثائق للاقتناع أو الاكتشاف ، فنحن كنا ومازلنا شهود عيان ، وما توصلنا إليه من معرفة ، تؤكده الحقائق كل يوم ، وإنما نحتاج الوثائق للذين لا يؤمنون إلا بعد أن يدسوا أصابعهم في الجرح . . أو بالأحرى حتى ندس أصابعنا في جرحهم !! وعلى أية حال لم يعد الانتظار ضرورياً ، فالتطورات الجارية في الدولة الأمريكية منذ وصول الرئيس ريجان وسيطرة اليمين ، قد فرضت من القيود على نشر الوثائق وخاصة المتعلقة بنشاط المخابرات الأمريكية ما يؤكد أنه لن يتاح للمعرفة وللمؤرخين إلا النذر اليسير بعد أن ألغي مفعول « قانون حرية المعلومات » ،

• هذه مقارنة بين المنجزات الظاهرة . . أما رأينا في « محمد علي » ودوره وأخطائه فقضية أخرى .

الذي صدر في فترة « الثورة الليبرالية » التي اجتاحت أمريكا عقب حرب فيتنام وفضيحة ووترجيت . .

أما السبب الأهم في نظري لقراري السابق بتأجيل الكتابة ، فهو أن يفعل عامل الزمن فعله في الكاتب والقارىء ، فتبرد حدة الأحداث وتتحول إلى تاريخ ، له سلبياته وإيجابياته . . ولا يمكن لكاتب مثلي أن يدعي الحياد في الكتابة عن « انقلاب ٢٣ يوليو » وأنا كمواطن مصري ، عاش أحداثه كاملة وأثر في حياتي ومستقبلي الشخصي والمهني والوطني والقومي . . يستحيل أن يكون المرء محايداً في الحديث عن حركة ، أعطته أحلى أيام عمره ، وأتعس نكسات وطنه . .

كيف أدعي الحياد ، إزاء تصفية الاستعمارين البريطاني والفرنسي وقد دام احتلالهما وامتهانهما لأمتنا العربية ما يقرب من قرن ونصف قرن . . ؟ كيف وقد ضحيت بأحلى سنوات عمري في سبيل تحقيق الجلاء عن مصر ، أكون محايداً إزاء هذا الجلاء وقد تحقق بل ومرتين !! وقد عشت حتى رأيت بريطانيا تهزم في غزو مصر كما لم تهزم في عام ١٨٨٢ برغم كل إعجابنا وحبنا للبطل أحمد عرابي ؟! وما أظن أن فرحة قد غمرت قلباً مثل فرحتي بقيام الثورة الجزائرية مع التسليم وقتها باستحالة انتصارها في عمر جيلنا . فما بالك بتحقيق ذلك الاستقلال في أقل من عشر سنوات ؟

هل أستطيع أن أنسى « الهزة » الوطنية والقومية التي غمرت القلب والروح والعقل بإعلان تأميم قناة السويس ، وتصفية المصالح الأجنبية في الاقتصاد المصري وتخليص القطن من قرداحي ومزراحي ، وإعلان الوحدة المصرية السورية ، وسقوط حكم نوري السعيد وطرد غلوب باشا . . وكلها كانت أحلام المراهقة ، وعرائس الشباب ؟!

وأيضاً . .

كيف أكون محايداً إزاء خروجنا من دائرة النفوذ الأنجلو ـ فرنسي ودخولنا في عصر الهيمنة الإسرائيلية والنفوذ الأمريكي ـ الروسي ؟!

وكيف أكون محايداً وقد كان ثمن الجلاء فصل السودان ، ولو خيرت في مطلع الخمسينات بين بقاء الاحتلال ألف عام وقبول فصل السودان لما اخترت أبداً فصل السودان . . وقد كان شعار مصر من رئيس الوزراء إلى أصغر مصري « تقطع يدي ولا يقطع السودان » قالها زعيم وادي النيل الخالد مصطفى النحاس ، ووفى بها .

هزمنا بريطانيا وفرنسا وتركنا جولدا مائير تقول عن حرب سيناء الأولى : « ومن بين الثلاثين ألف عسكري مصري الذين انطلقوا هائمين كالمجانين في الرمال ، التقطنا خمسة آلاف أسير فقط ، لكي نبادلهم جميعا بالأسير الإسرائيلي الوحيد الذي أسره المصريون »[1] .

أهذا جرح يشفى ؟ لا والله . . سيصحبني إلى القبر ، ولولا أنه غسل بالدم وببرقية « جولدا » في حرب رمضان « أيقظ كسينجر الآن ، لأننا نريد المساعدة اليوم ، فغداً ربما

يكون قد فات الأوان ؟[٢] ! لولا ذلك لبعث جيل بأكمله مجروح العرض يوم القيامة !

أيمكن أن أكون محايداً وأنا أكتب عن هزيمة ١٩٦٧ التي لم تترك قيادتنا ثغرة واحدة يمكن أن ينفذ منها النصر العربي إلا سدتها ، ولا غلطة يمكن أن يستفيد منها العدو لم ترتكبها ؟!

○ رفضوا البدء بالهجوم .

○○ قرروا تلقي الضربة الأولى ونشروا ذلك علنا في « الأهرام » لإخطار إسرائيل رسميا . .

○○○ تركوا طائراتنا في العراء بعدما ألغوا بند تغطية الطائرات في ميزانية عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ .

○○○○ أصدروا أمراً إلى قوات الدفاع الجوي بعدم إطلاق النار على أية طائرة لأن طائرة المشير في الجو لحظة الهجوم الإسرائيلي .

○○○○○ غيروا الشفرة صباح يوم الهجوم لكي لا يتلقوا إخطار محطة الإنذار المبكر التي أقيمت في الأردن لمهمة واحدة هي الإخطار عن تحرك الطيران الإسرائيلي ، فلما أبلغت المحطة عجزت مصر عن تلقي الإشارة لأن الشفرة تغيرت . . وبعدها بالصدفة قتل عبد المنعم رياض لكي لا يحكي عما شاهده في الأردن ، وسمعه في تلك اللحظات . .

الخ . . الخ . . الخ . . .

وكل هذا حدث في أثناء المعركة . . ومن قبل كانوا قد دمروا الجيش في حرب اليمن وأفقدوه قدراته القتالية بالجاسوسية والإرهاب والفساد حتى انحصر دفاع هيكل عن القرار الإجرامي الخياني بتلقي الضربة الأولى . . انحصر اعتذاره بأننا حتى لو ضربنا إسرائيل أولاً كنا سنخسر الحرب . . أي أنهم ساقوا مصر عن سبق يقين وتصميم إلى حرب يعرفون أنها محتومة الخسارة ؟![٣] .

ما بين فرحة تأميم القناة . . وبين الحسرة وعبد الرحمن البيضاني يَعِدُ رجاله بأنه اتفق مع مصر على تخصيص دخل القناة لدعم ثورة عبد الله السلال ؟!

ما بين الفرحة بالوحدة ، ومرارة الانفصال وانتكاسة ثورة العراق . . وتمزق الوطن العربي وتحول ثورة الجزائر إلى قوة نشطة معادية لمصر وانهيار مكانة مصر ودور المصريين بل واحترامهم في سائر الدول العربية . .

ما بين تمصير الاقتصاد المصري وتدمير هذا الاقتصاد والقضاء على فرصة مصر لبناء الوحدة الاقتصادية العربية حول مصر وبقيادة مصر ، حتى لم يبق في السوق العربية ، إلا الخادمة المصرية وفول مدمس* « قها » ، ونحن الذين أقمنا أول شركة طيران عربية ، وأول

---

* حتى هذا اختفى أمام الفول الصيني والهندي الذي يباع باسم « فول مدمس » Fool Mudamss .

بنك عربي ، وأول مصنع سماد عربي ، وأول صحيفة عربية ، وأول جامعة عربية ، وأول صناعة عربية . بل نحن الذين كانت نقود العالم العربي تسمى على اسمنا « المصاري » ! والمدهش أن ذلك كله حصل في الفترة من ٢٤ إلى ١٩٥٢ ودمر في فترة أقل من ١٩٥٤ إلى ١٩٨١ ؟!

كيف أكون محايداً وقد تحولت مصر إلى سجن كبير ، اختفت فيه كل مظاهر وشكليات الديمقراطية ، وضرب فيه رئيس مجلس الدولة « علقة » ، ونودي فيها على شيخ كلية دينية في سجن حمزة البسيوني « ياشيخ شادية » ، فيرد مجيباً من هول ما نزل بإنسانيته من اذلال ، وشنقت السلطة ، لأول وآخر مرة في تاريخنا ـ بإذن الله ـ كُتاباً ومؤلفين وجهابذة في الفقه والأدب والتفسير . . وهو ما لم يجرؤ الاستعمار البريطاني الملقب بعدو الإنسانية ، على ارتكابه وهو يحتل مصر بثمانين ألف جندي ؟!* كيف أكون أنا محايداً . والقانون في أجازة ؟!

ما بين ذكريات « أمجاد ياعرب أمجاد » وشكوى بريطانيا سيدة فن الإعلام ، من ضراوة ونجاح الإعلام المصري ، وبين تراجع صحافة مصر إلى المرتبة الثالثة في كل البلاد العربية حتى التي تعلمت القراءة على يد المصريين ؟! وبين « تواري » مدير صوت العرب ، وكأنه قد حمل كل خطايا الإعلام الناصري ، بل أصبح رمزاً لكل ما هو سيء إعلاميا ! ثم اكتشاف الحقيقة المرعبة ، ألا وهي أن « صوت العرب » قام بالخبرة والمعدات الأمريكية !

مستحيل أن يدعي المرء « الحياد » في الكتابة عن « زعيم » وصل إلى السلطة وكل شيء في مصر أكبر منه ، ومات وهو أكبر من مصر وكل ما فيها !!

مستحيل .

ولذلك كنت أتهرب ، وأحاول أن أكسب وقتاً بتأجيل الكتابة ، إلى أن كانت عودتي لمصر بعد غيبة خمس سنوات متصلة ، وهجرة قاربت على الخمسة عشر عاما . . ورأيت البعث الناصري في كل مكان . . فالحوار الخاطيء الذي يدور حول من هو الأسوأ « الرئيس الراحل أم الرئيس الأرحل » قد رجح كفة الرئيس الأرحل جمال عبد الناصر . . ونسي المتحاورون أن عبد الناصر هو الذي اختار السادات نائباً له ، بل الأحرى أنه هو وحده الذي بقي إلى جانبه حتى الرمق الأخير ، بعد أن تمت تصفية وإقصاء كل رجالات مصر وأعضاء مجلس الثورة . . . وأن أنور السادات جزء لا يتجزأ من « حركة ٢٣ يوليو » مفهوماً وأسلوباً ، وأنه المتمم لمرحلة عبد الناصر ، مع الفارق بين إنفاق الوارث والدنيا مقبلة ، واستجدائه وقد جدبت الموارد وأفلست الخزائن .

جمعت عدداً من الكتب الناصرية التي تذخر بها المكتبات والأرصفة المصرية ، وهالني ما قرأت ، فالتجهيل والتشويه ، مستمران ولكن بشكل أكثر سوقية وأكثر ابتذالاً .

---

* وأي مؤرخ منصف يقارن « دنشواي » بما جرى في كرداسة وكمشيش ؟!

وسمعت عن محاولات إنشاء حزب ناصري يستأنف المسيرة ورأيت « الجامعة الأمريكية » بالقاهرة تتحول إلى أكبر مركز للناصرية ؟!

ولم أدهش ، بل لعلي رأيت ما توقعته بالحرف ، ولو كان غير ذلك لكان للدهشة ما يستوجبها وللحيرة ما يبررها . . « فالجامعة الأمريكية » في بيروت هي مركز « اليسار هذا » . . ومؤتمر « تحرير المرأة » تموله مؤسسة فورد !! ومن دراستنا هذه ـ إن شاء الله ـ سيجد القارىء ما يقتنع به أنه من الطبيعي جداً أن تكون « الجامعة الأمريكية » هي قلعة الناصرية ، ومركز تفريخ الجيل الجديد من الناصريين ومعهد تنظير وتنميق وترويج الفكر الناصري .

وإذا كنت لا أستطيع أن أعد القارىء بأن أكون محايداً أو غير منفعل في كتاباتي ـ إذ لا يملك القلوب إلا الله ـ فإني أعده بما يرضيه وينصفني معه . .

١ ـ ألا أقدم واقعة واحدة غير مثبتة المرجع .

٢ ـ أن أعتمد بالدرجة الأولى على شهادات الناصريين . . والمصادر الأجنبية التي لا تحتمل الشك . . على الأقل في الواقعة التي نستشهد بها ، فعندما تقول جولدا مائير إن ايزنهاور أصر على الانسحاب بلا قيد ولا شرط ويؤكد نفس الحقيقة سلوين لويد ، لايمكن أن نتهمها بالشيوعية وتشويه سمعة أمريكا ؟! خاصة عندما تؤكد الوثائق هذه الحقيقة . وعندما تتفق رواية مصطفى أمين ومايلز كوبلاند على دور كيرمت روزفلت في مصر ، من حقنا أن نرفض إنكار هيكل المتهم الأول .

٣ ـ أن التزم بالموضوعية ـ وهي غير الحياد ـ في عرض سلبيات وإيجابيات العهد الناصري . مع التأكيد أن ما أقدمه من وقائع قد تحريت صدقه بكل ما في طاقة باحث أو مؤرخ ، أما التحليل الذي وصلت إليه فهو بلا شك معرض للخطأ ، قابل للرفض والنقض . . ومقارعة الحجة بالحجة .

ولا أزعم أنني أشيد بعيد الناصر أو أدينه ، فذلك متروك للقارىء ، ولا أزعم أنني سأهدي جيلا من الضلال ، بل غاية ما أصبو إليه هو أن أسجل خبرتي ومعايشتي وقراءاتي للجيل القارىء اليوم ؛ فإذا كان مقدراً لمصر والعرب أن يخوضوا تجربة ناصرية جديدة ، فعلى الأقل ندخلها عن وعي هذه المرة .

وقد علق « مؤرخ الناصرية » على هذه النقطة فراح يعظ عن حياد المؤرخين ، مزيفاً جاهلاً كعادته ، وحسبي أن أقول مرة أخرى ، إنه لا يمكن الحياد في كتابة التاريخ المعاصر ، ولا هو مطلوب ، والرافعي ، لم يكن محايداً ، كما زعم ، بل كان وطنياً بمفاهيم القرن التاسع عشر ، الأمر الذي حمل كتاباته الكثير من الأخطاء ، في التفسير والتعليق ، وأحيانا في صياغة الواقعة ، وذلك في تأريخه لحروب محمد علي ، أو موقفه المعيب من الثورة العرابية ، والمضطرب من ثورة القاهرة ضد الاحتلال الفرنسي وأخيرا تحيزه غير المنصف ضد الوفد . .

فالمؤرخ المعاصر الذي يكتب عن أحداث عاصرها ، وساهم فيها ، أو كان طرفاً في صراعاتها ، أولى بأن يفقد حياده ، ولا يضيره هذا ، ولا يضير تاريخه ، ما لم يتبع هواه . . إذ لا يجوز تغيير واقعة ولا إخفاء حدث بسبب الاقتناع الذاتي أو الموقف السياسي ، هنا تصبح الكتابة أدباً سياسياً وليست تاريخاً ، بل تصبح تزويراً لا يليق . . فليس يعيب المؤرخ أن يكون مع أو ضد ثورة ١٩١٩ مادام يورد ما يصل إليه من حقائق ووقائع بأمانة . . أما أن « يهدد » هيكل بأن نشر مذكرات « سعد زغلول » يسيء إلى الزعيم ، فهذا هو ابتزاز التاريخ أو محاولة تعديله على هوى الكاتب وتصوره .

ومن ثم فليس عليّ من التزام أمام القارىء إلا « الصدق » وخاصة أنه ما من سبب شخصي يدفعني إلى عداء عبد الناصر أو التحامل عليه ، فلم أكن ملكياً قبل ٢٣ يوليو ، ولا حصلت على جائزة الملك فاروق في الصحافة ثلاث مرات ، ولا حتى مرة واحدة ، وما كان يمكن أن يكون مثلي مرشحاً لمثلها ، بالعكس كنت مقدماً للمحاكمة بتهمة العيب في الذات الملكية ، والدعوة إلى قلب نظام الحكم بالقوة المسلحة في عهد الملك فاروق في قضية حقق فيها « علي نور الدين » . . وجاءت حركة ٢٣ يوليو وأنا في معتقل الملك فاروق ، وأيدنا الانقلاب كما توقع تقرير المخابرات الأمريكية أن يفعل « المثقفون المغفلون » ! وكنا منهم ولا فخر !! ثم عارضناه عندما بدأ يكشف عن وجهه ، ودخلت المعتقل أو السجن في ٩ يونية ١٩٥٤ وأفرج عني في ١١ يونية ١٩٥٦ ومن يومها لم يتخذ عبد الناصر قراراً واحداً ضدي ، بل أقول لأول مرة ، إنه كان يثق في مقالاتي ، فكما أخبرني الزعيم الكردي « جلال الطلباني » إنه عندما قابل الرئيس عبد الناصر في عام ١٩٦٣ واشتكى له من وجود قوة سورية تقاتلهم في العراق إلى جانب الجيش العراقي ، رد الرئيس عبد الناصر : « غريبة . . جلال كشك كان هناك ولم يكتب عن القوات السورية في تحقيقاته الصحفية » ! وكنت قد قمت بأول زيارة صحفية لمعاقل الأكراد في شمال العراق واجتمعت بالمرحوم الملا مصطفى البرازاني . وكل مصادري تؤكد أن عبد الناصر شخصيا منع أو رفض اعتقالي أكثر من مرة . . بل أحسبني مضطراً إلى القول أن ليس بيني وبين الأستاذ « محمد حسنين هيكل » ذاته أي عداء شخصي ، بل الأحرى أنني مدين له بإخراجي من السجن عندما اعتقلني المنحرف « أمين شاكر »*. وهيكل هو الذي عينني في « أخبار اليوم » عندما جبن وهرب وعارض الآخرون . . ولكن الأمر أكبر من أن يكون حسابات شخصية . . « فنقطة » الخلاف كبيرة جداً . . إنها ببساطة : مصر . . مصر الماضي . . مصر الحاضر . . مصر المستقبل . .

وقد يتساءل القارىء لماذا أركز على « هيكل » ؟! والجواب ليس فقط للمكانة التي احتلها في العصر الناصري ، تلك المكانة التي تشكل في حد ذاتها سؤالاً ضخماً بل عريضة اتهام حافلة للنظام الناصري ، ولا لأنه هو المتصدي الأكبر للترويج للناصرية . بل لأنه إحدى

---

* انظر كتاب : « كنت نائباً لمدير المخابرات »

الحلقات الرئيسية في العلاقة الأمريكية ـ الناصرية ، لأن « هيكل » كما جاء في كتاب « حبال الرمال » ـ ولم يعترض هو ولا اتخذ أي إجراء ضد المؤلف والناشر ـ قد جندته المخابرات الأمريكية كعميل في أوائل الخمسينيات . . وأصبح بطريقة ما ، المتحدث الرسمي باسم الوطنية الناصرية والقومية العربية . ومن ثم فإنه يعرض قصة الناصرية من زاوية يهمنا التصدي لها .

كذلك استعنت بشهادات رجالات ٢٣ يوليو . . ومن المؤيدين لها في إطارها العام حتى وإن اختلفوا في تفاصيل تدور حول أشخاصهم في الغالب أو حول كارثة وطنية لا مجال لقبولها إلا من مأجور .

وقد ركزت على قضية العلاقة مع الأمريكان والمواجهة مع إسرائيل ومعركة ١٩٥٦ ، فلم أتعرض ـ إلا بحكم الضرورة ـ للأوضاع الداخلية والاستبداد السياسي باعتبار أن هذه قضية أشبعت بحثاً ، ويعترف بها الناصريون أنفسهم ويعتذرون عنها بما تحقق من انتصارات في ميادين محاربة الاستعمار والوحدة العربية ، والتصدي لإسرائيل . . الخ .

وربما يرى البعض أن فصل في البدء جاء الأمريكان كان أجدر به لو أخر إلى نهاية الكتاب على أساس أنه النتيجة التي تثبتها هذه الدراسة ، ففيه نتحدث عن علاقة الأمريكان بحركة ٢٣ يوليو ، ومن ثم فلابد أن نمهد للقارىء ، حتى يصل إلى الاقتناع بما ندعيه عبر الحقائق والتحليلات لتاريخ الناصرية ومواقفها والتي كشفنا فيها مدى التزوير الذي تعرض له هذا التاريخ .

ولكنني رأيت أن أبدأ به فصول الكتاب حتى وإن صدمت القارىء ، وحجتي في ذلك أنني لم أستهدف أبداً إثبات تهمة التآمر بين الناصرية والأمريكان ، حتى يمكن أن يكون ذلك هو عبرة الكتاب ونتيجته المنطقية !

لا ليس هذا هدفي ولا هو بالهدف الذي يستحق أن يقتصر عليه الجهد ، وأنا أكرر ما قلته في أكثر من موضع ، إنه ليس من أهدافي أن أسيء إلى عبد الناصر أو أن أدينه بتهمة ما . . تماما كما لم يكن بيني وبين الشريف حسين ثأر شخصي ولا مصلحة ممكنة أو ممنوعة ، والرجل قد مات قبل أن أولد ، إنما أردت بتحليل العلاقة بين ما أسموه بالثورة العربية الكبرى ، والمخابرات البريطانية ، إلقاء الضوء على ما تولد عن هذه العلاقة وترتب عليها من نتائج مازالت أمتنا تعاني آثارها إلى اليوم ، كذلك أردت بكشف العلاقة بين حركة ٢٣ يوليو والمخابرات الأمريكية ، أن أكشف للشعب العربي ، التاريخ السري الذي أشار إليه رجل المخابرات الأمريكية ومدير شئون ثورة ٢٣ يوليو عندما قال : « إن المؤرخين والدارسين الذين لا تتاح لهم معرفة التاريخ السري للأحداث ، لا يمكنهم أن يفسروا مثلاً لماذا تجنب عبد الناصر الحرب مع إسرائيل في ظروف كان النصر فيها محتملا ، بينما قاد بلاده إلى حرب محتومة الخسارة »[٣] .

وهذا الجهل بالتاريخ السري ، أوقع البعض في تفسيرات مجنونة مثل اتهام عبد الناصر بأنه عميل إسرائيل ، أو أمه يهودية؟! . .

إن سلوك عبد الناصر ، والأحداث التي مرت ، والمواقف التي تبدو كالألغاز ، والتي تجعل بعض الناصريين « المخلصين » يرفعون أيديهم في حيرة العاجز ، يطرحون السؤال ويعترفون باستحالة الإجابة عليه في إطار المنطق المفترض للناصرية . كل هذا لا يمكن فهمه بدون معرفة « مفتاح » شخصية عبد الناصر ، بدون الاطلاع على التاريخ السري للناصرية ، بدون اكتشاف المعامل « س » الذي به وحده يمكن حل كل المعادلات المجهولة في الحقبة الناصرية . .

والمعامل « س » هو تلك العلاقة التي انعقدت بين مجموعة جمال عبد الناصر في تنظيم الضباط الأحرار من جهة ، وبين المخابرات الأمريكية من جهة أخرى ، عشية الثورة وبعد؟! نجاحها وربما إلى عام ١٩٦٤ - ١٩٦٥ .

وهكذا كان من الطبيعي والمنطقي أن نبدأ بهذا الفصل حتى ولو شكل ذلك صدمة للقاريء ، بل ربما دفع البعض ، ممن يخشون الحقيقة ، فيبغضونها ، إلى التوقف عن متابعة بقية الفصول . . لأننا نبحث عن تفسير لا عن إدانة ، ولا يمكن فهم مواقف الرئيس عبد الناصر من السودان والجلاء والعدوان الثلاثي وإسرائيل وصفقة السلاح إلا على ضوء هذه العلاقة . . لذا فضلنا أن نطرح التفسير أولاً ثم نستخدمه في تحليل الأحداث ، فتتأكد صحته مرتين ، مرة كحقيقة موضوعية ، ومرة بتطابقه مع النظرية العامة . . تماما كما أمكن اكتشاف بعض الكواكب بالحساب ، ثم ثبتت صحة الاستنتاج بتقدم آلات الرصد ، مع الفارق في حالتنا ، هو أننا اتبعنا الأسلوب العكسي ، أي رأينا بالدليل الحسي علاقة الثورة بالأمريكان ، فلما استخدمنا هذه العلاقة في تفسير الأحداث ، تأكدت صحتها . . لأنها قدمت التفسير المعقول .

ويجدر أن نؤكد هنا ، ما أكدناه في فصول الكتاب ، من أن تنظيم الضباط الأحرار ، كان في مجموعه تنظيماً مصرياً وطنياً خالصاً ، نشأ من دوافع مصرية ، وبنوايا وطنية صادقة ، وأن غالبيته العظمى لم تعرف لا وقتها ، وربما إلى الآن ، هذه الصفقة التي عقدت مع المخابرات الأمريكية ، بل إننا نذهب إلى أن عدداً من أعضاء مجلس الثورة لم تكن لهم معرفة بذلك .

وقد أشرنا لذلك في غير هذا الموضع . . ولكننا نرجح هنا أنه لا يوسف صديق ولا البغدادي ولا حسين الشافعي ، ولا رشاد مهنا ولا كمال الدين حسين ، كان لهم علم بذلك ، كما نقطع أن خالد محيي الدين لم يشترك فيها . أما أنه أحس بها أو لم يحس ، فتلك قضية لا نجزم فيها* كذلك نعتقد أن صلاح سالم اكتشفها مبكراً وفي خلال أزمته في السودان

---

* كتبنا هذا منذ سنوات ، أما الآن فقد تأكد من تصريحاته هو أنه أحس وعلم وسكت . . لماذا ؟!

وحاول أن يوازنها بعلاقة مع الروس فاحترق . . وأن جمال عبد الناصر وعامر وزكريا وأنور كانوا على علم بها منذ البداية ، وإن كان « أنور » قد بقي بعيداً ، سواء عن ذكاء منه ، أو خوفاً منه ، أو إهمالاً لشأنه . . يضاف إليهم في حدود ما وصلنا إليه ـ علي صبري وحسن التهامي . . غير أن علي صبري قصة أخرى تماما . . إذ نعتقد أن له دوراً أخطر من ذلك• .

كما نؤكد هنا أن « جمال عبد الناصر » لم يكن عميلا للأمريكان ، بل كما قال « مايلز كوبلاند » المسئول من قبل الـ CIA عن مصر وعبد الناصر في الفترة من ١٩٥٣ ـ ١٩٥٥ « ولو أن كرميت روزفلت والمستشارين الذين بعثهم إلى مصر ستيف ميد . . وجيمس ايكلبرجر ، وبول ليبرجر ، وآخرين ، لم يكونوا يديرون عبد الناصر بأكثر مما يسيطر عليه الروس اليوم . . إلا أن تلاقي أفكارهم مع أفكاره ، جعل فلسفته تلقى عطفهم وتأييدهم ، ومن ثم فإن ما فعله عبد الناصر بصرف النظر عن موافقة الغربيين أو عدم موافقتهم ، فهذا لا يهم إزاء حقيقة أن هذا الذي فعله قد نال تأييد فريق من الغربيين لا شك في إخلاصهم المطلق لمصالح بلادهم ، وأن هؤلاء الذين أيدوا عبد الناصر ، كانت توجههم المبادىء المقبولة ، في الغرب » .

إنها لعبة شديدة التعقيد ، أراد عبد الناصر فيها أن يوظف « الولايات المتحدة » لخدمة أهدافه ، التي كانت بلا شك وطنية في جوهرها ، شريفة في مقصدها ، ولكنه أخطأ وخسر ، لسبب بسيط هو عدم التكافؤ بين اللاعبين . . وهذه هي العبرة التي نهدف إلى استخلاصها وتقديمها للمشتغلين بالسياسة والذين سيشتغلون بها يوماً ما . . أنه لا يمكن أن تنجز ثورة « بمؤامرة » وأنه لا يمكن أن تتحقق مصالح الشعوب من خلال التعاون مع أعرق الاستعماريات ، المتعارضة المصالح والمواقف مع الأمة العربية وخاصة منذ سيطرة إسرائيل على القرار السياسي في الولايات المتحدة .

إن هذه الصلة التي بدت في البداية ، صحية وضرورية وحققت نتائج باهرة . . مثل النجاح المدهش في سهولته ، للانقلاب ، ومثل شل القوات البريطانية ومنعها من التدخل ، ثم إجبار بريطانيا العظمى على قبول الانسحاب من السودان ، ثم خلع محمد نجيب وتثبيت « ناصر » ثم إحباط الغزو البريطاني ـ الفرنسي . . وطرح عبد الناصر زعيماً للقومية العربية . . بل والمساعدة في تحرير الوطن العربي من الاستعمارين البريطاني والفرنسي . . إلا أن هذه العلاقة أو الحبل السري بين الناصرية والمخابرات الأمريكية ، كان يدمر في الجذور ، بقدر ما يبهج بالزهور الوقتية ، وخاصة فيما يتعلق بالصدام العربي ـ الإسرائيلي ، والوحدة العربية ، والبناء الحقيقي لقدرة مصر الذاتية . ففي هذه الميادين ، عملت هذه العلاقة على

• وقد اعترف أخيراً أنه لم يكن من الضباط الأحرار ولا في الثورة إلى ٢٣ يوليو وأن سبب ضمه هو علاقته بالأمريكان ! . . وهو ضابط الجيش الذي أرسل إلى أمريكا في عهد الملك للتدرب على يد المخابرات الأمريكية .

تدميرما كان قائماً ، وقادتنا إلى الإفلاس المطلق في الحقول الثلاثة ، فقد خرجت إسرائيل من المواجهة الإسرائيلية ـ الناصرية بأعظم نصر تحقق في أي صدام من نوعه ، منذ انهيار الامبراطورية البيزنطية أمام العرب . . ودمرت أسس الوحدة العربية ، وتحولت من إمكانية قبل ظهور ناصر إلى مستحيل عند وفاته وإلى اليوم . . كذلك تدهور مصر من مكانة الدولة الأولى في الشرق الأوسط في كل شيء إلى . . ما نعرفه . .

وهذا السر الخفي ، هو الذي جعل بعض تصرفات النظام الناصري ، تبدو وكأنها تصدر من جهة إسرائيلية ! إذ لا شك في أنها كانت ، من حيث نتائجها ، لمصلحة إسرائيل . مما جعل البعض كما قلنا يتخبط فيضع تفسيراً « بروتوكوليا » لها . ولا ننكر أن المخابرات الإسرائيلية كان لها وجودها في بعض المراكز الحساسة في النظام الناصري ، بدليل « بعض » ما حدث في ١٩٦٧ . ولكن التفسير الذي وصلنا إليه عن هذه التأثيرات الإسرائيلية على القرار المصري ، هو أنها تمت عبر المخابرات الأمريكية . وما كانت تتمتع به هذه المخابرات من ثقة الزعيم . فإذا أضفنا إلى ذلك ، الحقيقة المعروفة ، وهي أن المخابرات الأمريكية هي أكثر الأجهزة الأمريكية تعرضاً لتأثير « الموساد » أو المخابرات الإسرائيلية ، أمكننا أن نتوقع أن تكون بعض النصائح التي قدمتها المخابرات CIA ، والتي أربكت القيادة الناصرية ، وأسقطتها في اخطاء أجادت إسرائيل ، الاستفادة منها ، يمكن أن نتوقع أنها موعز بها من عناصر الموساد داخل المخابرات الأمريكية ، ومن استرعى الذئب ظلم* . .

وأعترف أن العنصر الإسرائيلي قد ألح عليّ إلحاحاً شديداً في هذه الدراسة عندما كنت أجد معظم الخيوط والأحداث ، والقرارات الناصرية تصب في قناة واحدة هي : « مصلحة إسرائيل » . حتى فكرت أن أجعل عنوان الكتاب : « كلمات على قاعدة التمثال » وسيجد القارىء آثار ذلك في بعض الصفحات مشيرا بذلك إلى ما ذكره توفيق الحكيم ، عندما شكل لجنة لإقامة تمثال لعبد الناصر بعد وفاته . فبعث إليه مصري مهاجر يقترح إقامة التمثال في إسرائيل ، انطلاقا من حقيقة أنه إذا روجعت خريطة المنطقة ، على ضوء ما حققته من مكاسب في العهد الناصري ، فستفوز إسرائيل بكل الجوائز من الميدالية الذهبية ، إلى الخشبية . فخطر لي أن تكون فصول هذه الدراسة هي الحيثيات لإقامة التمثال أو الكلمات أو المنجزات التي تنقش على قاعدته !

ولكن عندما تعمقت في الدراسة تأكد لي صدق وطنية ومصرية عبد الناصر** وأنه فعلاً أحس بخطر إسرائيل ابتداء من عام ١٩٥٤ ، ولكن علاقته بالمخابرات الأمريكية وما أثاروه

---

* كانت هناك اتفاقية تعاون بين المخابرات الإسرائيلية (الموساد) والمخابرات الأمريكية (CIA) اعتمدت فيها الـ (CIA) في معلوماتها عن الوطن العربي على الموساد .

** هذا ما كتبته في « كلمتي للمغفلين » ولو سألتني الآن . . بعدما نشر من وثائق . . هل تستطيع أن تقسم على ذلك . . لترددت !

في نفسه من خوف ، وما ربطوه به من تعهدات ، وما أوهموه من وعود بتسويات . كل هذا أفسد فكره وشل يده وأجبره على شن معارك واتخاذ قرارات ، كانت كلها ـ للأسف ـ في صالح إسرائيل ! ومعظمها لم يكن يهدف إلا إلى تجنب المواجهة الحقيقية ، ومحاولة كسب الوقت حتى يأتي الحل الأمريكي .

أما كيف فسدت علاقة عبد الناصر بالأمريكان ، ولماذا انهارت استراتيجيته في التعاون المصري ـ الأمريكي ، والذي كان يحمل إمكانية ـ ولو نظرياً ـ لتحجيم الدعم الأمريكي لإسرائيل ومن ثم ترجيح كفة القوى المحلية في المنطقة في الصراع العربي ـ الإسرائيلي ؟ . . فالسبب في اعتقادي ، هو أيضاً تلك الصلة الخفية مع الأمريكان . فلو كانت هذه الصلة استراتيجية معلنة ، ومتفقاً عليها من جانب القوى الوطنية في مصر أو حتى بعض هذه القوى لاتخذت مساراً آخر غير الذي اتخذته تلك العلاقة السرية المشبوهة بالحتمية ، والتي ظلت شبهتها تطارد الزعامة الناصرية حتى فيما بينها وبين نفسها ، والتي كانت تحتاج باستمرار إلى « المهرجان » ضد أمريكا في العلن ، لإخفاء ما يجري في الخفاء . وللحصول على الشعبية المطلوبة كشرط استثمار والاستفادة من هذه العلاقة ، وهو أمر لا يعرفه إلا عدد محدود من الأمريكان لا يمكنهم التحكم في الرأي العام الأمريكي بمؤسساته الدستورية والديموقراطية والصهيونية . وإذا كان زكريا محيي الدين ، قد اعترف أن « اللعبة » كانت محتومة الفشل ، وفسر ذلك بالمؤسسات الأمريكية وعصبية عبد الناصر فإننا نفسر قوله ـ وهو الذي اعتاد ألا يتكلم فإذا نطق لا يكلم الناس إلا رمزاً ! ـ نقول إنه يقصد التأثير اليهودي على الأجهزة الأمريكية ، وبالتالي صعوبة أو استحالة تأييدها لمصر أو لبلد عربي إلا في إطار ما يخدم إسرائيل . وأيضاً صراع هذه الأجهزة وعدم « انضباطها » من وجهة نظر أعتى وزير داخلية ، حكم مصر منذ قراقوش ، مع الفارق ! ومن ثم لا يمكن التحكم في تصريحات أعضاء الكونجرس ولا في تصرفات المسئولين مما يثير « عصبية » عبد الناصر ، وبالتالي يقع في الاستفزاز ، فيرد عليه باستفزاز أشد . . فهو يقول : « إن مصادقة الأمريكيين هو أمر قريب من المستحيل ، لأن البناء السياسي لها يؤثر على استراتيجيتها ، ويدلل على ذلك بأنه خلال فترة الصداقة التي قامت بين مصر والولايات المتحدة في السنوات الأولى للثورة . استطاعت إسرائيل أن تكون عاملا مؤثرا في زعزعة هذه العلاقات ، ويضيف قائلا : خصوصا إذا كنا نستجيب بسرعة للأحداث وتكون انفعالاتنا هي أساس سياستنا »؛

وهذا يرجع إلى « العلاقة السرية » . . إلى تصور عبد الناصر أن « المخابرات » ستحل له مشكلة النفوذ الإسرائيلي في الأجهزة الأمريكية ، وستحقق مطالبه من وراء الكونجرس ووزارة الخارجية ، كما سنرى ، ومن ناحية أخرى فإن هذه العصبية كانت مقصودة لإخفاء العلاقة السرية . كان من الضروري التطرف في سب أمريكا ، ورصد كل حركة أو تصريح

في جميع أرجاء العالم والرد عليه بأكثر الصور علانية ، على أساس أن هذا التطرف في « التصريحات » يخفي العلاقة ، ويساعد على القيام « بالدور الإيجابي البناء » .

ثم تطورت الأمور فأصبح هذا هو مورد مصر الأساسي ، عندما كفت عن الإنتاج والتصدير ، ولم يبق أمامنا من مصدر للعملة الصعبة إلا « المهرجان » أو السيرك المفتوح لكسب متفرجين أو رأي عام عالمي ، ومن ثم نبتزيهم الدول الكبرى لتدفع ثمن سكوتنا أو كما كتب هيكل في عام ١٩٦٤ : « إن سياسة مصر الخارجية هي استثمارات لأنها تعود بفوائد عملية وسياسية لمصر في شكل مساعدات اقتصادية من أمريكا وعسكرية من روسيا »[٤] ولم يكن أمام النظام الناصري من حل آخر ، بعدما رفض طريق الثورة الحقيقية وبناء القوة الذاتية ، معتمداً على طاقات المصريين وفي ظل وحدة عربية حقيقية تجمع الإمكانات العربية في اتجاه واحد بناء . . ولأنه صدق ما قاله له الخبراء الأمريكان : « حتى لو حصلت على البليون دولار التي تحتاجها لخطتك الخمسية ، وحتى لو نجحت هذه الخطة حرفياً ، وحتى لو عمل كل مصري بأقصى طاقته ، وتحت إشراف أفضل الخبراء الأجانب ، فإن أفضل ما تتوقعه هو منع هذا البلد من التقهقر للوراء ، لن تقدم لهم لقمة عيش أفضل ولا تعليماً أفضل ولا رفاهية للشعب لا شيء أفضل لأن زيادة النسل تأكل الفرق »[٥] .

ووصل عجز مصر التجاري إلى ٤٠٠ مليون دولار سنوياً وهبط الاحتياطي إلى ٤٠ مليون دولار من الغطاء الذهبي و ٤٦ مليونا عملة صعبة في البيانات الرسمية ـ بينما لم يكن الموجود الحقيقي يزيد على ثلاثة ملايين دولار وفي ١٩٦٦ جاء في تقرير أمريكي أن مصر لو باعت ذهبها كله لما كفى لدفع استيراد شهر واحد . .

وقد أشار « مصطفى أمين » في رسالته لعبد الناصر إلى اقتناع الرئيس المصري بسياسة « المهرجان » أو لعب دور الدولة الكبرى لكي تدفع لنا الدول الكبرى بصحيح وذلك عندما قال : إن الأمريكي قال له « لو اهتم جمال عبد الناصر بشئون بلده الداخلية فقط وابتعد عن موضوعات التدخل في الكونغو والعراق واليمن فإن الحكومة الأمريكية مستعدة لأن تساعد مصر مالياً مساعدات ضخمة ، فقلت له على لسان سيادتكم : انكم مقتنعون بأنه لولا نفوذنا الخارجي لما اهتمت أمريكا بنا ولما أعطتنا دولاراً واحداً . ولو أننا بقينا على حالنا في الداخل ما استطعنا أن نتحول إلى دولة كبيرة ولا أن نحصل على برنامج واسع من المعونة وذلك بمواقفنا في الخارج »[٦] .

وهكذا فحتى عام ١٩٦٥ كانت أمريكا تقدم ثمانين بالمائة من الخبز الذي يأكله المصريون أو الرغيف المدعوم ، ودخلت مصر في الحلقة المفرغة التي أشار إليها « مايلز كوبلند » عندما قال : « كان استمرار المهرجان ضرورياً للحصول على الدعم ، كما أصبح الحصول على الدعم ضرورياً لتمويل المهرجان » يعني لابد أن تتدخل مصر في الكونغو لتحصل على دعم

من أمريكا وروسيا ، ولكن جانباً مهماً من الدعم ينفق على حملة الكونغو ، وهكذا من الكونغو للعراق لسوريا للجزائر . . للمغرب . . لغانا . . لليمن حتى جفت الاعتمادات* وانفض المهرجان . . ولم يبق إلا الافلاس؟!.

إن رجال المخابرات الأمريكية الذين اتصلوا بتنظيم الضباط الأحرار وتعاونوا مع مجموعة عبد الناصر كانت تحركهم ثلاثة أهداف :

١ ـ منع قيام ثورة راديكالية حقيقية في مصر .

٢ ـ حماية إسرائيل .

٣ ـ تصفية الامبراطوريتين ، البريطانية والفرنسية في العالم العربي ، وإحلال النفوذ الأمريكي وليس الروسي محلهما .

ولا جدال في أنهم حققوا الهدف الأول والثاني بتفوق ولكن الجدل حول الهدف الثالث ، لما يبدو لبعض المؤرخين ، وكأن النفوذ الروسي قد دخل المنطقة بفضل الناصرية ، وهذا صحيح جزئيا ولكن يجب ألا ننسى عنصر « الوفاق » بين الروس والأمريكان الذي ظهر في عنفوان الناصرية ، وأن الصدام الحقيقي في المنطقة كان بين أمريكا من جهة وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى ، وأن الأمريكان اكتفوا بتدمير كل القوى التي يمكن أن تحول المنطقة إلى دول شيوعية ترتبط إلى الأبد مع الاتحاد السوفييتي وقد صفى عبد الناصر الحركة الشيوعية في العالم العربي على نحو فاق أحلام أشد الأمريكيين عداوة للشيوعية ، فلم تقم للشيوعيين قائمة إلى يومنا هذا . .

وتاكتيكات لعبة الأمم ، فرضت على الانجليز أو الأمريكان ، الاستعانة بالدب الروسي نكاية في النسر الأمريكي أو الأسد البريطاني ، مع اطمئنان كل من المتصارعين الاستعماريين ، إلى أن التخلص من الدب الروسي سهل وممكن في اللحظة المناسبة ، كما حدث في حالة مصر والصومال والعراق على سبيل المثال . . وسنرى خلال هذه الدراسة أن أهم خطوة في العلاقات المصرية ـ الروسية ـ صفقة السلاح ـ كانت بعلم الأمريكان ، إن لم نقل تشجيعهم كما تعاون العملاقان إلى أقصى حد ضد محاولة العودة البريطانية ـ عدوان ١٩٥٦ ـ .

ويجدر أن نشير هنا إلى تجربة مماثلة حدثت في العالم العربي ، وللأسف فإن نفس التزوير ، والرغبة في خداع النفس ، والتشبث بالأوهام ، منعت من دراستها الدراسة الواجبة ، ولو حدثت هذه الدراسة ، لربما تجنب قادة حركة ٢٣ يوليو الوقوع في نفس الخطأ . . ولربما تجنبوا أن يأتي مؤرخ فيطلق على حركة ٢٣ يوليو اسم « ثورة كيرميت روزفلت » كما أطلقنا نحن على ثورة الشريف حسين أو « الثورة العربية الكبرى » لقب « ثورة لورنس » .

---

* حتى الروس نصحوا عبد الناصر بالكف عن التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى .

ففي الحرب العالمية الأولى كانت بريطانيا تحتل معظم العالم العربي ، ومصر والسودان ، وتعتبر الجزيرة العربية في منطقة نفوذها ، وكان العدو هو تركيا ، وهي أيضاً الامبراطورية الأفلة التي تستعد بريطانيا لوراثتها ، وكانت بريطانيا تخشى أن ينضم العرب للأتراك تحت تأثير الرابطة الدينية ، أو حتى بالحس السياسي الذي كشف لهم ما تدبره لهم بريطانيا وفرنسا .

ولذلك قامت المخابرات البريطانية بتدبير ، ما وصف بعد ذلك ، بالحدث الفريد من نوعه ، وهو الاتفاق مع الشريف حسين على إعلان « الثورة العربية » ضد دولة الخلافة . . وبقية القصة معروفة ، إذ كانت هذه « الثورة » أحد العوامل في تمكين الاستعماريين : البريطاني والفرنسي في المنطقة ، فتقاسما الوطن العربي كأنه فريسة بلا حول ولا طول . . وأعطيت فلسطين لليهود بلا اعتراض جدي من « الثوار » .

وسيجد المؤرخ تشابها غريبا في أحداث الثورتين ، الشريفية والناصرية ، وبعض المؤرخين يسلكهما في خيط واحد في سجل تشريفات القومية العربية ! . . سيجد نفس اللامبالاة بالصهيونية في البداية ، بل والأمل في التصالح معها . . وسيجد هذه العلاقة « العائبة » ، « المتوقعة » . . « الشاكية » . . « المتوترة » . . والتي ستنتهي بهزيمة عسكرية فادحة هنا وهناك ، وفي المرتين يتساءل المؤرخ . . لماذا اندفع الشريف حسين إلى محاربة عدو أقوى منه وأقدر على إنزال الهزيمة الساحقة به ، وفق كل المعلومات المتاحة . وذلك في عام ١٩٢٦ ضد السعوديين ولماذا رفض عبد الناصر في ١٩٥٦ تصديق جميع التحذيرات التي أكدت له نية العدوان ، ثم انساق إلى هزيمة ١٩٦٧ بعد نصف قرن من تورط الشريف حسين ؟! . . ويستحيل الوصول إلى جواب مقنع ، إذا ما أصر المؤرخ على إغفال هذا العنصر في الحالتين ، الارتباط مع المخابرات البريطانية ، ومن ثم تصور استحالة تخلي الانجليز عنه ، وفي الحالة الثانية الارتباط مع المخابرات الأمريكية ، والظن بأن الولايات المتحدة ستتقدم بحل آخر لحظة ولن تسمح بقيام الحرب .

أوجه كثيرة للشبه يمكن أن يجدها المؤرخ أو حتى القاريء الذكي . . بين تدبير الانجليز ، إزاحة الترك « بثورة » عربية كبرى وبين تنصيب أمريكا لعبد الناصر زعيما للثورة العربية مرة أخرى لإزاحة الانجليز . . بين أعمدة الحكمة السبعة للورنس وبين لعبة الأمم لكوبلاند . . وقد أشرنا بالتفصيل لثورة لورنس في كتابنا « القومية والغزو الفكري » الصادر عام ١٩٦٦ . . وكذلك في كتابنا « السعوديون والحل الإسلامي » الصادر عام ١٩٨٠ . . ويمكن لمن شاء الرجوع إليهما .

وبعد . . .

فقد كانت في مصر ثورة حقيقية وطنية تجمعت خلال الحرب العالمية الثانية ، وتفجرت بقرار الوفد التاريخي بإلغاء المعاهدة . . وكان تنظيم الضباط الأحرار جزءاً من هذه الثورة ،

وكان عبد الناصر وطنياً مصرياً يتطلع لإنجاز هذه الثورة ، ولكنه بطبيعته الانطوائية ، فضل الانقلاب العسكري على الثورة ، وبطبيعة الشك في نفسه ، والتقدير الزائد لأهمية سلامته الشخصية ، أراد أن يؤمن هذا الانقلاب بالاتفاق مع المخابرات الأمريكية؟٢ ، وبتعطشه الزائد للسلطة واقتناعه بأن مصير مصر والأمة العربية رهين باستمراره في هذه السلطة مهما كان الثمن . . حدث ما حدث . .

مما نتلو عليك بعضه .

مراجع وملاحق خطبة الكتاب
من صفحة ٩ إلى صفحة ٢٨

المراجع

١ - جولدا مائير : حياتي ص ٢٨٨ .
٢ - ن . م : ص ٤١٥
٣ - كتاب لعبة الأمم : مايلز كوبلاند .
٤ - زكريا محي الدين عن حروش .
٥ - تقرير فريق المستشارين الأمريكي من مؤسسة آرثر ليتل كومباني في بوسطن .
٦ - رسالة مصطفى أمين لعبد الناصر .

الملاحق

م١ - أحمد فؤاد كان شيوعياً قبل انقلاب يوليو والرجل الثاني في تنظيم نحشم الذي كان يترأسه ايللي شوارتز صهر موشي ديان وتربطه علاقة غريبة غير مفهومة مع جمال عبد الناصر وبقي إلى جانبه في وقت سجن الشيوعين وتنلهم وعينه عبد الناصر مشرفاً على دار روز اليوسف في ظل الغزوة الخرشونية .. ثم مديراً لبنك مصر بلا أي علاقة مع الاقتصاد والبنوك فهو خريج حقوق .. ومازال وضعه يمثل علامة استفهام ..

م٢ - حتى ليمكن القول بكل ثقة إنه لو كان يحكم مصر جاسوس إسرائيلي مثل « ايلي كوهين » أو « كمال أمين ثابت » ، لما استطاع أن يضيف لمصلحة إسرائيل قراراً واحداً إلى ما فعله الزعيم ! ..

م٣ - بعض المتسولين الذين أطلقتهم السلطة وأعطتهم صحافة ضنت بها على أصحاب الرأي ، لتشويه الديموقراطية ومحاسبة أنصارها بما يرتكبه هؤلاء ! .. بعضهم كتب يقول إنني تعرضت « لأم » عبد الناصر رحمة الله عليها .. فلما بعثنا له رداً على يد محضر تتهمه بالكذب والافتراء لأننا لا نتعرض للأمهات ولا لما نجهل .. نشر تكذيبنا له كالآتي : « كذب الأستاذ جلال كشك ما جاء على لسانه » !! وثار المحامي واقترح أن نقاضيه أو أن نرسل تصويباً آخر ظاناً أنه كتب ذلك عن سوء نية ! .. فقلت له هؤلاء التي قال عنها الأعرابي : « لا تلاغيها يكثر هرجها » ! .. وقد كتبوا هذا عن جهل باللغة والكتابة ولو كانوا يعرفون الفرق بين ما نسب إليه وما جاء على لسانه لما أعطوهم جريدة !

م٤ ـ لا شك أن اضطراباً شديداً قد وقع في صفوف الناصريين والمتاجرين بالناصرية والكائدين لمصر باسم الناصرية ، عندما نشرت كتابي « كلمتي للمغفلين » حيث طرحت فيه لأول مرة دراسة كاملة بالوثائق لطبيعة الانقلاب العسكري الذي نفذه جمال عبد الناصر ولم يكن ـ في بدايته على الأقل ـ أكثر من واحد من عشرات الانقلابات العسكرية التي نفذتها المخابرات الأمريكية في شتى أنحاء العالم الثالث . . ولم يجرؤ ناصري واحد على أن ينقد حرفاً في هذا الكتاب ، ولكن لما نصب المولد ، وجاء الحاوي الطروب وأحاطت به القردة ، في ذكرى هزيمة سيناء الأولى ، ومرة أخرى وجدوني أتصدى لهم ناقلاً المناقشة من أعظم ثورات العرب التحررية ، كما يخلعون على انقلاب ناصر الذي أفضى بالعرب إلى أحلك وأذل مرحلة في تاريخهم . . نقلت المناقشة إلى « أمريكية » الانقلاب ، وهل كان عميلاً . . أم مجرد متعطش للسلطة قبل أن يحقق هدفه بمساعدة المخابرات الأمريكية . .

ولما كان نفي الاتصال بالأمريكان أو إنكار دعم الأمريكان « للثورة » مستحيلاً بعدما قدمناه من أدلة ووثائق ومنطق ، وبعدما نشر في العالم كله من حقائق ، فقد دب الاضطراب في صفوفهم ، وراحوا يحاولون إخفاء الدور الأمريكي في انقلاب يوليو بمحاولات وتصريحات وتفسيرات مضحكة إلى حد البكاء ، وقد تغلبت غريزتي المسرحية (وأنا كاتب لمسرحية واحدة يتيمة) وأسلوبي الذي يقول البعض إنه ساخر ، تغلب علي فكتبت على ظهر تصريح للسيد علي صبري ، التعليق التالي ، رأيت أن أنشره ترويحاً للنفس قبل أن نخوض في كآبة ما أنزلته بنا ثورة يوليو الأمريكية ! فاقرأوا السطور التالية كنكتة . .

أدلى « علي صبري » بتصريح قال فيه إنه قابل عبد الناصر لأول مرة في حياته ليلة الثورة وطلب منه عبد الناصر في أول مقابلة : حاجة بسيطة خالص . . يخطف رجله للسفارة الأمريكية ويطلب منهم منع بريطانيا من التدخل ضد الثورة ! . .

واسمعوا القصة : « وكان من الطبيعي أنه في ليلة ٢٣ يوليو أن الرسالة التي يراد أن تبلغ إلى السفارة الأمريكية تبلغ من خلالي بحكم العلاقة الشخصية مع الملحق الجوي الأمريكي وقد اتصل بي البغدادي ليلة الثورة واستدعيت إلى القيادة وقابلت عبد الناصر وكانت هذه أول مقابلة ، وأبلغني نص الرسالة الشفوية التي من المفروض أن أبلغها للملحق الجوي الأمريكي والرسالة بسيطة جداً فالجيش قد قام بحركته لتطهير القوات المسلحة من العناصر الفاسدة وليس للحركة أية أبعاد سياسية والشعب كله سيؤيدها لأنها ستمشي مع مصالحه والمطلوب أن تتدخل سفارة الولايات المتحدة لمنع أي تحرك للقوات البريطانية من منطقة القناة وقد ذهبت إلى الملحق الجوي الأمريكي وابلغته الرسالة واتصل أمامي بالسفير الأمريكي في الأسكندرية لينقل إليه ما سمعه مني وفعلاً وصلت الرسالة إلى السفارة البريطانية فيما بعد وكان ذلك من الأسباب التي أدت إلى عدم تدخل عسكري بريطاني في الأيام الأولى » .

وتفسير ذلك بالبلدي أن الملحق الجوي الأمريكي قاعد لا بيه ولا عليه بياكل همبرجر . . دق الباب . .

ـ مين ؟

ـ أنا علي صبري ! . .
ـ أهلا علوه ! . . اتفضل همبرجر . . بيبسي !
ـ ألف هنا وشفا . . أصل أنا مستعجل . .
ـ خير كفى الله الشر . .
ـ لأ أنا قصدك في خدمة . .
ـ تؤمر ياعلوه !
ـ احنا احتلينا القيادة العامة والإذاعة ومسكنا البلد . . لكن وحق العيش والهمبرجر . . ولا يتقلب على عيني عدس باشبخ لا احنا بتوع سياسة ولا لينا أهداف سياسية . . غير شي كام ضابط عايزين نطهرهم !!

الملحق الجوي ـ أنا تحت أمرك عايز مطهرات من أمريكا ؟!
علي صبري ـ لأ . . أبسط من كده . . عايزين السفارة تشد تليفون للسفير البريطاني وقائد جيش الاحتلال البريطاني . . وتقول لهم حسك عينك تقربوا ناحية الجيش وحركة الجيش . .
الملحق الجوي ـ غالي والطلب رخيص ياعلي ! . . والله ما تقوم إلا مبسوط هاتي التليفون يابت . .
آلو ـ السفير كافري ؟! حذر فزر مين هنا ؟! . . لأ . . هيكل مشغول معاهم ؟! . . علي صبري صاحبي اللي كنت بأسهر عنده . . هو الحقيقة جاي قاصدني . . وأنا قلت بقى إنك مش حتكسفنا . . هو أصله قاصدنا ندى إنذار لبريطانيا العظمى حليفتنا رقم واحد في حلف الأطلنطي ، والمسئولة رقم واحد عن مصر . . لأن هم عملوا حركة قصدها تطهير الجيش . . وأنا صدقته وقلبي انشرح له .

السفير الأمريكي ـ على ضمانتك ؟ أوعوا يكونوا بتوع سياسة . .
الملحق الجوي ـ أعوذ بالله . . دا وشه سمح ولا يمكن يكذب ! واتصل السفير الأمريكي على الفور بوزير الخارجية في واشنطن :
اتشيسون : خير الساعة كام دلوقتي . . في ايه ؟ . الملك عايز حاجة ؟!
كافري : ملك مين ؟ كل سنة وأنت طيب . . في واحد اسمه علي صبري . . طبعا ما تعرفوش ولا أنا أعرفه . . لكن هو بينه وبين الملحق الجوي بتاعنا عيش وملح . . الستات زي الأخوات . . وهو اتصل بالملحق الجوي علشان التطهير . .
ـ تطهير ايه ياسفير الكلب تصحيني من النوم علشان عاوز شوية مبيدات . .
ـ لأ اسم الله على مقامك . . دول مش عايزين حاجة غير إنذار صغير يرسل للندن الليلة علشان ما حدش يتدخل .
واتصل وزير الخارجية الأمريكي بالرئيس الأمريكي . .
اتشيسون : صباح الخير ياريس .
رئيس الولايات المتحدة : خير ايه وبتاع ايه الساعة كام ؟!
وزير الخارجية : متأسف ياريس . . إنما تعرف سفيرنا اللي في مصر ؟ لأ . اسمه كافري . .

عنده ملحق ، والملحق مراته تعرف مرات واحد اسمه علي صبري .. لأ بالإس S باريس ! ..
أبوه طول بالك .. علي ده زار الملحق النهاردة وطالبين إنذار لبريطانيا .. هم مش بتوع سياسة أبداً ، ولا ليهم أهداف سياسية .. دا مجرد تطهير .
- طب ما يكلموا منظمة الصحة العالمية ؟! ..
- لأ هم عندهم مستشفى المواساة وعندهم مطهراتية بس عاوزين تليفون منك لتشرشل تقول له إذا تدخلت بريطانيا الأسطول السادس حيضربها ..

وقد كان واتصل ايزنهاور بتشرشل وشلت يد بريطانيا ولم تتدخل بفضل زائر الفجر علي صبري ووجهه السمح الذي كسب قلب الملحق الجوي !

هل يليق هذا العبث ؟ .. ولماذا هذا اللف والدوران .. مادام عبد الناصر يخشى تدخل الانجليز ضد الثورة ، فهل يعقل أن ينتظر إلى أن تصبح أمراً واقعاً ، وماذا يحدث لو رفض الأمريكان .. تضيع البلد ؟ أليست رواية جميع المصادر العاقلة أكثر منطقية .. وهي أن عبد الناصر الحريص على تأمين الثورة ، اتصل قبل الثورة بالأمريكان شارحاً أهدافه ، عارضاً التعاون ، وعلي صبري نفسه يشهد حرفياً بالتقاء المصالح عندما قال : « أعتقد أن الأمريكان قد وجدوا في الثورة فرصة ، فهم بمساندتهم لها يستطيعون أن يقلصوا نفوذ الانجليز وتحل أمريكا مكان الانجليز ، وكان هذا هدفاً استراتيجياً لأمريكا بعد الحرب العالمية الثانية ، ومصر مفتاح الشرق الأوسط وإذا استطاع الأمريكان أن يزعزعوا النفوذ البريطاني في مصر وبالتالي المنطقة العربية ، وكانت هذه هي الأرضية المشتركة التي عمل عبد الناصر على اللعب بها فهناك تناقض بين الاستراتيجية الأمريكية والاستراتيجية البريطانية . وهذا لا يعني أن تأييد الأمريكان للثورة كان تأييداً مطلقاً ولكنه يهدف تثبيت أوضاع الثورة ثم الانطلاق منه إلى تقليص النفوذ البريطاني تمهيداً للسيطرة » (حرفياً حديث صحفي - نوفمبر ١٩٨٦) .

صدقنا وآمنا .. وقلنا كما قال النجاشي .. هذا والانجيل مثل هذين ! وسبحان من ضرب مثلاً ما جناح بعوضة !

- الأمريكان استراتيجيتهم هي إخراج بريطانيا من مصر .
- وجدوا في ثورة عبد الناصر فرصة لتحقيق ذلك .
- عبد الناصر وجد أن هذه أرضية مشتركة ، تمكنه من الحصول على الدعم الأمريكي لثورته .
- الأمريكان رأوا أن دعم هذه الثورة وتثبيتها يحقق لهم تصفية النفوذ البريطاني والسيطرة على مصر ..

وكل امرأة طالق وكل رقبة حرة إن كنا قد قلنا أكثر من ذلك ، إلا أن استراتيجية أمريكية منذ الحرب العالمية الثانية ، لا يمكن أن تنام عليها أمريكا حتى ينبهها علي صبري ليلة الثورة أو صباحيتها .. واستراتيجية خطيرة مثل هذه لا يمكن أن يكتشفها عبد الناصر ليلة الثورة ، ولا يمكن أن يؤجل دراستها وتجربتها ومحاولتها إلى أن يغامر بها مرة واحدة يوم الثورة ..

لقد اتفق الطرفان على تنفيذ الثورة ، ولا يضير الناصريين الشرفاء أبداً الاعتراف بهذه الحقيقة فهي لا تجعل من عبد الناصر عميلاً ، وإنما متآمراً .. وقد قلنا إن هذه « المؤامرة » ضمنت نجاح

الانقلاب ، ومنعت تدخل الانجليز وحققت الكثير من النجاح ، ولكن لأنها كانت مؤامرة ومع المخابرات الأمريكية فقد انقلبت بعد ذلك على المتآمر ودمرت كل شيء ومكنت إسرائيل من إلحاق الهزيمة التاريخية بمصر والعرب . .

فلا داعي للف والدوران وتغطية الرأس بكشف السوءة ، الاتفاق الاستراتيجي بين « انقلاب » يوليو والأهداف الاستعمارية الأمريكية متفق عليه . . نحن نقول « قبل » وهم يقولون « بعد » . . فأي الروايتين أكثر منطقاً وعقلانية ؟!

م٥ ـ ويدعي مايلز كوبلاند أن عبد الناصر قال له إنه موافق على مقالة هيكل ، وإن كان الأمر ليس بالبساطة التي عرضها هيكل . وأنه وبخ هيكل على المقال ! . . انظر : لعبة الأمم ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

م٦ ـ ذكر تقرير للمخابرات الأمريكية أن واحداً من زعماء بيروت المسلمين الأربعة ، حصل على ٧ ملايين ليرة لبنانية من مصر خلال أحداث ١٩٥٨ .